الفكر السياسي عند محمد عبده

Political thought according to Muhammad Abduh

أ.م.د. رشا يحيى الحاتمي
كلية العلوم السياسية – جامعة الكوفة
Rashay.almsalimawi@uokufa.edu.iq

الباحثة: سجى مهدي حسون العكيلي
كلية الآداب – جامعة الكوفة
Sajam.aleakili@uokufa.edu.iq

تاريخ استلام البحث ٢٠٢٤/١/١٠
تاريخ قبول النش ٢٠٢٤/٥/٢٠

الملخص:

يتميز الفكر الإسلامي في القرن التاسع عشر بثورة فكرية سياسية إسلامية واسعة أفرزتها العديد من الأفكار التي طرحها المفكرون الإسلاميون الذين تميزوا بعمق أفكارهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية التي تعتبر انعكاسا لما عاشوا وشاهدوا وتأثروا بالبيئة الداخلية التي غالبا ما تتمثل في دراستهم وتعريفهم لطبيعة وشكل النظام السياسي الحاكم. والأحوال الاجتماعية السائدة في البلاد الإسلامية.

ومن حيث تأثرهم بالبيئة الخارجية، فقد تأثروا في كثير من الأحيان بمعرفتهم بأحوال المجتمعات الأوروبية نتيجة اتصالهم المباشر وغير المباشر من خلال سفرهم وتعرضهم لواقع هذه المجتمعات أو من خلال دراستهم للوضع السياسي. والأفكار الاجتماعية للمفكرين الأوروبيين في القرن التاسع عشر.

الكلمات المفتاحية: محمد عبدة، السياسية، فكر.

Abstract:

Islamic thought in the nineteenth century is characterized by a broad Islamic political intellectual revolution produced by many ideas put forward by Islamic thinkers who were distinguished by the depth of their political, social, economic, religious and cultural ideas, which are considered a reflection of what they lived, saw, and were influenced by from the internal environment, which is often represented by their study and definition of the nature and form of the ruling political system. And the social conditions prevailing in Islamic countries.

In terms of their influence by the external environment, they were often influenced by their knowledge of the conditions of European societies as a result of their direct and indirect contact through their travel and exposure to the reality of these societies or through their study of the political and social ideas of European thinkers in the nineteenth century.

Keywords: Muhammad Abdo, politics, thought.

المقدمة

يتميز الفكر الاسلامي في القرن التاسع عشر بثورة فكرية سياسية اسلامية واسعة انتجتها العديد من الافكار التي طرحها مفكرون اسلاميون تميزوا بعمق افكارهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية والتي تعتبر انعكاسا لما عاشوا واطلعوا عليه وتأثروا به من المحيط الداخلي الذي يتمثل غالبا بدراستهم وتحديدهم لطبيعة وشكل النظام السياسي الحاكم والاوضاع الاجتماعية السائدة في البلاد الاسلامية.

اما من ناحية تأثرهم بالمحيط الخارجي فانهم غالبا ما تأثروا باطلاعهم على اوضاع المجتمعات الاوروبية نتيجة احتكاكهم المباشر وغير المباشر من خلال سفرهم واطلاعهم على واقع هذه المجتمعات او من خلال دراستهم للأفكار السياسية والاجتماعية للمفكرين الأوروبيين في القرن التاسع عشر.

ويعتبر (محمد عبده) احد رواد القرن التاسع عشر الذين كان لهم اثر بارز في تقويم واعتدال الفكر الاسلامي وتصحيح مسار الافكار الخاطئة والمدسوسة من خلال افكاره الاصلاحية التنويرية التي طرحها لذلك ارتأينا ان نقوم بدراسة هذه الشخصية الاصلاحية الدينية الفكرية السياسية وما خلفته من افكار كان لها الاثر الكبير فيما بعد على العديد من الجوانب العامة في المجتمع.

منهجيه البحث:

استخدمنا في البحث منهج البحث التاريخي من خلال دراستنا التاريخية (لمحمد عبده) والافكار التي طرحها في القرن التاسع عشر من خلال دراسة ابرز المؤلفات التي كتبت بحقه وكذلك استخدمنا المنهج التحليلي السياسي من خلال دراستنا لموضوع الاستبداد والعلاقة بين الدين والدولة وكذلك موضوع المشاركة السياسية.

فرضية البحث:

تنطلق فرضية البحث من اساس، يعتبر (محمد عبده) عبارة عن محاوله فكرية وفقهيه جادة لإقامه الاصلاح ومحاربة الفساد المستشري في المجتمع ذلك الوقت.

المطلب الأول

نشأة محمد عبده ونهجة التعليمي

هو محمد عبده حسن خير الله ولد في (محله نصر) بمركز (شبرا خيت) من اعمال مديريه محافظه (البحيرة)في سنه١٨٤٩.[١]من عائله تنتمي الى تلك الطبقة الخلاقة في مصر الحديثة طبقه العائلات ذات المكانة المحلية التي تتصف بالعلم والتقوى ويقال ان اباه كان من اصل تركي بعيد وأمه من عائله عربيه تنسب الى أبطال الإسلام الأوائل[٢].

ان النشأة هذه علمت (محمد عبده) الاعتزاز بالمجد والأصالة وعدم الربط بين هذه الأصالة وبين الغنى والثروة والضن باحترامه على اهل الثراء خصوصا المسرفين منهم والعاطلين عن الكفاءة وأيضا الضن بهذا الاحترام على الحكام الظالمين ولقد لمس (الافغاني) فيه هذا الخلق فقال له ((قل لي أي ابناء الملوك أنت؟!))[٣].

تلقى (محمد عبده)تعليمه الاولي للقراءة والكتابة وحفظ القران بالقرية وبدأ ذلك وهو في السابعة من عمره ثم ذهب الى الجامع الاحمدي بطنطا ليحضر هنالك دروس تجويد القران الكريم سنه ١٨٦٢[٤].

ذهب الامام (محمد عبده) الى الازهر في مصر في فبراير سنه ١٨٦٦كان الازهر يومئذ حزبان شرعي محافظ وحزب صوفي اقل في محافظه من الشرعيين، وحضر (محمد عبده)دروس كل من الحزبين[٥].

وبعد ان علم بقدوم (جمال الدين الافغاني)الى القاهرة اتصل به وصاحبه في مجالسه وندواته.(٣) انتقل به الافغاني من التصوف والتنسك الى الفلسفة الصوفية وكان الافغاني يقول ((الفيلسوف ان لبس الخشن واطال المسبحة والزم المسجد فهو صوفي وان جلس في قهوه (متأتيا) وشرب الشيشة فهو فيلسوف))؟![٦].

كتب (عبده) مقدمه (لرسالة الواردات) الفلسفية التي املاها الافغاني سنه ١٨٧٢وهذه المقدمة هي اول الاثار الفكرية التي حفظت لنا من تراثه وهي لم تنشر الا بعد وفاته[٧].

ومن ابرز اعمال (محمد عبده) اعماله الفكرية في هذه المرحلة مقالاته في الصحف وهي (تفريط جريدة الاهرام) (الكتابة والعلم) (العلوم الكلامية والدعوة الى العلوم العصرية)[٨].

نضم مع الحزب الوطني الحر الى الاعرابيين بعد مظاهره عابدين في ٩سبتمبر/ايلول سنه ١٨٨١ثم القى بكل قواه في الثورة بعد المذكرة الثنائية الإنكليزية_ الفرنسية الى مصر[٩]. وبعد هزيمه الثورة سجن ثلاثة اشهر ثم حكم عليه بالنفي ثلاث سنوات بدأت في ٢٤ديسمبر ١٨٨٢ ولكنها امتدت الى ما يقرب من ست سنوات[١٠].

وذهب الى (بيروت) منفيا في ٢٤ ديسمبر سنه ١٨٨٣ وكان يومئذ في سن الرابعة وثلاثين عاما فأقام بها نحو عام حتى دعاه استاذه (الافغاني) الى اللحاق به في باريس في اواخر سنه ١٨٨٣ ومن حجره صغيره متواضعة فوق سطح احد منازل باريس اخذ يعمل مع الافغاني في اخراج جريدة (العروة الوثقى) لسان حال جمعيه العروة الوثقى السرية التي قام تنظيمها في بلاد الشرق وخاصه مصر والهند فصدر منها ثمانية عشر عددا[١١].

ومن مقالاته السياسية التي كتبها في بيروت (رساله السير صمويل بيكر في السودان ومصر وانكلترا) (مصر وجريده الجنة) و(المراسلات) و(مصر والمحاكم الأهلية) وبعض الرسائل لعدد من الساسة والوجهاء ومنها أرسل بعض اراء الافغاني وتنظيم العروة الوثقى في السياسة الشرقية فنشرت دون توقيع في (الاهرام) بالإسكندرية وفي نشاطه السياسي هذا كان ملتزما بخط (العروة الوثقى) في العداء الصريح والمباشر للإنجليز[١٢].

برزت في بيروت جهوده التربوية وأعماله الثقافية والفكرية فكتب(لائحة اصلاح التعليم العثماني) و(لائحة اصلاح القطر السوري) وشرع في كتابه (لائحة اصلاح التربية في مصر) كما شرع في تحقيق كتب التراث العربي الاسلامي كرائد للمحققين العرب في العصر الحديث فحقق وشرح (مقامات بديع الزمان الهمذاني) و(نهج البلاغة)[١٣].

وفي ١١ يوليوا/ تموز سنه ١٩٠٥ توفى الاستاذ الامام بالإسكندرية عن سبع وخمسين عاما وعن ثلاث بنات وعن حياه فكريه خصبه وجهود في التربية والاصلاح ومواقف تجسد عظمه الانسان المصري العربي المسلم وكبرياءه، وبصدد وفاته يقول (محمد عماره) ((لا يمكن ان يموت فلقد كان عقلا من اكبر عقول الشرق والعروبة والاسلام

في عصرنا الحديث والموت انما يصيب الاجسام اما هذه العقول الفعالة فأنها لا تموت!))[١٤].

المطلب الثاني

أبرز الافكار السياسية عند محمد عبده

أولا: علاقة الدين بالدولة

يقول (محمد عبده) ((ليس في الاسلام سلطه دينيه. وأصل من اصوله: قلبها والاتيان عليها من اساسها.. والخلافة هي بالسياسة أشبه بل هي اصل السياسة. والخليفة حاكم مدني من جميع الوجوه..))[١٥].

فيما يتعلق بطبيعة السلطة السياسية في المجتمع وهل هي سلطه دينية ام مدنية؟؟ وفهم (محمد عبده) لموقف الاسلام من هذه القضية نلتقي بفكر واضح ومحدد وحاسم قدمه الشيخ (محمد عبده) في هذا الموضوع فهو يرفض رفضا قاطعا ان يكون الدين الاسلامي نصيرا لقيام سلطه دينية في المجتمع باي وجه من الوجوه وباي شكل من الاشكال ويقيم على ذلك الحجج والبراهين[١٦].

فهو مثلا ((انه ليس في الاسلام سلطه دينية سوى سلطه الموعظة الحسنه والدعوة الى الخير والتنفير عن الشر وهي سلطه خولها الله لأدنى المسلمين يقرع بها انف اعلاهم كما خولها لا علاهم يتناول بها ادناهم))[١٧].

بل يذهب الى ما هو ابعد من هذا فيرى ان احدى المهام التي جاء لها الاسلام ونهض بها في المجتمع الذي ظهر فيه والتي تعتبر أصلا من اصوله هي قلب السلطة الدينية واقتلاعها من الجذور فيقول ((اصل من أصول الاسلام قلب السلطة الدينية والاتيان على اساسها. هدم الاسلام بناء تلك السلطة ومحا اثرها حتى لم يبق لها عند الجمهور من اهله اسم ولا رسم لم يدع الاسلام لاحد بعد الله ورسوله سلطانا على عقيده احد ولا سيطرة على ايمانه على ان الرسول (ص وأله) كان مبلغا مذكر لا مهيمنا ولا مسيطرا))[١٨].

وليس المسلم مهما علا كعبه في الاسلام على اخر مهما انحطت منزلته فيه الا حق النصيحة والارشاد[١٩].

واذا كانت هذه النصوص المتقدمة قد انصبت اساسا وبشكل مباشر على نفي وجود(السلطة الدينية) في الاسلام لما يمكن ان يسمى (رجل الدين) فان (محمد عبده) يمد نطاق هذا الفكر وذلك الموقف الى السلطة السياسية في المجتمع الاسلامي فيرى ان الحاكم في هذا المجتمع (هو حاكم مدني من جميع الوجوه) وان اختياره وعزله انما هما أمران خاضعان لرأي البشر لا (الحق الهي) يتمتع به هذا الحاكم بحكم الايمان وهو يرى ان تقرير (مدنيه) السلطة السياسية في المجتمع لا تنافي بحال من الاحوال مع وجود (الشرع) الى جانب (الدين) في الاسلام[٢٠].

ويرى (محمد عبده) ان بالإمكان محاسبة (الخليفة) (الحاكم) في حاله الخطأ والانحراف عن جادة الصواب حيث ينفي عنه الصفة القدسية غالبا بالقول ((والخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم ولا هو مهبط الوحي ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنه. نعم شرط فيه ان يكون مجتهدا اي ان يكون من العلم باللغة العربية بحيث يتيسر له ان يفهم من الكتاب والسنه ما يحتاج اليه من الاحكام حتى يتمكن بنفسه من التميز بين الحق والباطل والصحيح والفاسد ويسهل عليه اقامة العدل الذي يطالبه به الدين والامه معا[٢١].

ومن الامور الهامه التي يتطرق لها (محمد عبده) هو الخطأ الشائع الذي اتهم البعض به الدين الاسلامي بانه يضم (سلطه دينية) كما هو الحال بالسلطة التي وجدت في اوروبا في العصور الوسطى (السلطة الثيوقراطية)حيث يرى بان السلطة في الاسلام هي سلطه مدنيه وان الحاكم لا يحمل الصفة الالهية فيقول ((ولا يجوز لصحيح النظر ان يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الافرانج (ثيوقراطيك) اي سلطان الهي فان ذلك عندهم هو الذي يتفرد بتلقي الشريعة عن الله وله حق الاثر والتشريع وله في رقاب الناس حق الطاعة لابا لبيعه وما تقتضيه من العدل وحماية الحوزة بل بمقتضى حق الايمان[٢٢].

وهو لا ينفي وجود السلطان الديني والسلطة الدينية عن القيادة السياسية العليا للمجتمع فحسب بل وينفي اعتراف الاسلام بها و اقراراه لها بالنسبة لاي مؤسسه من المؤسسات التي تمارس سلطه من السلطات في مجتمع المسلمين مثل المؤسسات التي تتولى (القضاء) او(الافتاء) او قيادة (علماء الدين)، شيخ الاسلام فيتحدث قائلا ((يقولون: ان لم يكن للخليفة وذلك السلطان الديني أفلا يكون للقاضي ؟ او للمفتي ؟او لشيخ الاسلام؟؟ وأقول: ان الاسلام لم يجعل لهؤلاء ادنى سلطه على العقائد وتقرير الاحكام وكل سلطه تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطه مدنيه قدرها الشرع الاسلامي ولا يسوغ لواحد منهم ان يدعي حق السيطرة على ايمان احد او عبادته لربه او ينازعه في طريقة نظره))[٢٣].

وهو يرى ان منبت هذه القضية قضية توحيد السلطة السياسية والدينية انما هو الدين المسيحي الذي جعل ذلك اصلا من اصوله بينما يقف الاسلام ضد هذا التوحيد والجمع بين السلطتين[٢٤] فيقول ((ان الجمع بين السلطتين السياسية والدينية هو الذي يحمل الباباوات وعمالهم من رجال (الكثلكه) على ارجاعه لأنه أصل من اصول الديانة المسيحية عندهم وان كان ينكر وحده السلطة الدينية والمدنية من لا يدين بدينهم))[٢٥].

وهكذا جمعت الوسطية الاسلامية في فكر(محمد عبده) بين الدين والدولة وبين الدنيا والأخرة وبين سلطه الامه ومرجعية الشريعة الاسلامية في نموذج متميز كل التميز عن جميع النماذج السياسية التي عرفتها الحضارات الاخرى في علاقة الدين بالدولة فالدولة عندنا (إسلامية – مدنية) اسلامية المرجعية ومدنيه النظم والمؤسسات بينما تراوحت النظم الاخرى بين (الدولة الدينية) التي جعلت الدولة دينا وحكما بالحق الالهي والتفويض السماوي لا علاقه له بسلطه الامه وبين (الدولة العلمانية) التي جاءت رد فعل للدولة الدينية ففصلت الدين عن الدولة في النموذج الليبرالي وفصلته عن الحياة في النموذج الماركسي عندما عزلت السماء عن الارض[٢٦].

ثانيا: المشاركة السياسية

المشاركة السياسية والتي تتمثل في اشراك الامه ممثله في مشوره اهل الحل والعقد في اداره شؤون الدولة حيث بدئ لرجال الفكر الاسلامي الحديث ان البديل عن الاستبداد هو التأكيد على مبدأ الشورى الذي اعتبر مناسبا لانتخاب نواب الامه[٢٧].

يرى (محمد عبده) بان الانسان غير اهل للتدخل في شؤون السلطة السياسية بسبب جهله وعدم حصوله على التربية والتعليم الكافي بما

يسمح له من الانخراط في العمل السياسي، .(٢) حيث يرى ان قصور التعليم وجموده ساهم كثيرا في تمكين الجهل من الناس وقد شخص الامام عبده هذا الداء بالقول (..... اذا استقرينا احوال المسلمين للبحث عن اسباب الخذلان لا نجد الا سببا واحدا: وهو القصور في التعليم الديني)[٢٨].

واشترط عبده للتدخل بشان السلطة السياسية شرط امتلاك الوعي السياسي الذي اطلق عليه اسم (الادب السياسي) فقد اكد ان (الادب السياسي) لا يحصل لأفراد الامه كلهم اجمعين اذ يتطلب للحصول عليه درجه من التثقيف والتعليم[٢٩].

هذا يعني بان محمد عبده قد ربط المشاركة السياسية بالتعليم اي متى ما تلقت الامه القدر الكافي الوافي من التربية والتعليم فأنها تكون صالحه للتدخل في الشؤون السياسية اورد عائقا وهو شرط امتلاك الوعي السياسي ويرى عبده بان الجهل الذي يمتلك اغلب الناس هو الذي دفعهم الى الابتعاد عن الحياة النيابية والتمسك بالشورى (اهل الحل والعقد). وبهذا فان الامام محمد عبده قد جعل المشاركة السياسية مقترنة بالشورى حيث اكد عبده على وجوب تقيد الحكام بالشورى لان الشورى من الامور الشرعية الواجبة التي تدل عليها الآيات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة وان مناصحة اولى الامر واجب على الرعية بان لا يمنعوهم من قضاء هذا الامر فدل ذلك على ان الامر في قوله تعالى ((وشاورهم في الامر)).(*) اي ان الشورى هي للوجوب لا للندب فوضح من كل هذا ان تصرف الواحد في الكل ممنوع شرعا وان الرعية يجب عليها ان تجعل الحاكم والمحكوم بحيث لا يخرجان عن حد الشريعة الحقه ((وان الشورى من الامور الشرعية الواجبة فمن رامها فقد رام امرا شرعيا قضت به الشريعة وحتمته على الحاكم والمحكوم جميعا)).(٢)

المطلب الثالث

الإصلاح السياسي عند محمد عبده

أولا: مفهوم الاستبداد عند محمد عبده

الاستبداد: يعني في مصادر التراث الاسلامي بانه القدرة على فرض سيادة الدولة على جميع اطرافها ومنع اي خروج عليها او تسلط احد من السكان في صوره كانت تشبه مفهوم التغلغل اما اليوم فقد اصبح يفهم بنفس دلالات مفهوم (despotism) الذي ترجم الى لفظ الاستبداد الذي يعني الدكتاتورية والطغيان والانفراد في السلطة[٣٠].

مفهوم (محمد عبده) عن الاستبداد لا يختلف كثيرا عمن سبقه من المفكرين الاسلاميين من حيث انه التفرد بالسلطة لكنه يحدد موقفا اكثر وضوحا حين يفرق بين الاستبداد المطلق والاستبداد المستنير فقسم الاستبداد الى قسمين :احدهما: ((تصرف الواحد في الكل على وجه الاطلاق في الادارة ان شاء وافق الشرع والقانون وان شاء خالفهما فيكون اتباع النظام مفوض اليه وحده ان أراد قام به وان لم يرد لا يؤخذ عليه وهو الاستبداد المطلق))[٣١].

اما المعنى الثاني فهو: ((استغلال الحاكم في تنفيذ القانون المرسوم والشرع المسنون بعد التحقق من موافقتهما على قدر الامكان)) وهذا بالحقيقة لا يسمى استبداد على ضرب من التساهل وانما يسمى في عرف السياسيين توحيد السلطة المنفذة.

ثانيا: النهج الإصلاحي عند محمد عبده

اخذ (محمد عبده) عن جمال الدين الافغاني منهج الاصلاح الديني باعتباره السبيل الى تجديد حياه الشرق والشرقيين وقدم بهذا المنهج بناءا فكريا مكتمل القسمات[٣٢].

ومحمد عبده مشروع اصلاحي في الثقافة والتربية واللغة والفكر الاجتماعي وتفسير القران الكريم والافتاء والاجتهاد الفقهي والعمل الثوري والفكر السياسي وكان في ذلك عقلا من اكبر عقول الشرق والعروبة والاسلام في العصر الحديث حيث في مجال الفكر السياسي قدم (محمد عبده) النظرية (الإصلاحية) في مقابل النظرية الثورية التي كان يروج لها جمال الدين الافغاني[٣٣].

فكان (محمد عبده) اصلاحيا يرى التدرج في الاصلاح هو الطريق الأقوم والأضمن في تحقيق هذه الغاية وان التربية المستندة الى الدين بعد تجديده انما تتم بواسطه المؤسسات التربوية الجديدة مثل دار العلوم وكذلك المؤسسات العتيقة بعد اصلاحها مثل الازهر والاوقاف والمحاكم الشرعية ،وان التربية والتعليم هي السبيل الوحيد لبلوغ غايه الشرق في التحرر الفكري والتحرر السياسي[٣٤].

***الاصلاح الديني (اصلاح الازهر)**

كان الشيخ (محمد عبده) يرى ان اصلاح الامه لا يكون الا بإصلاح عقولهم وقلوبهم بالعلم الصحيح والدين الصحيح والسبيل الى ذلك احداث نهضه دينيه وعلميه معا والازهر اخصب مكان لهذه النهضة فان الحياه اذا انبعثت فيه سرت مسرعة في جسم الامه وفي الشرق الاسلامي كله[٣٥].

يقول (السيد محمد رشيد رضا) بان اول حديث دار بيني وبين الاستاذ الامام في مصر الحديث هي اصلاح الازهر حيث ان الامام باعتقاده ان اصلاح الازهر اعظم خدمه للإسلام فان اصلاحه اصلاح لجميع المسلمين وفساده فساد لهم[٣٦].

اذ يقول الامام (محمد عبده) اني توجهت الى اصلاح الازهر منذ ان كنت (مجاورا) فيه بعد التلقي عن السيد جمال الدين وقد شرعت في ذلك فحيل بيني وبينه ثم كنت اترقب الفرص فما سنحت الا واستشرفت عليها واقبلت عليها حتى اذا ما صادفت الموانع لويت وصبرت مترقبا فرصة اخرى[٣٧].

حيث يقول (السيد محمد رشيد رضا) بان الامام (محمد عبده) قال لي ان بقاء الازهر متداعيا على حاله في هذا العصر محال فهو اما ان يعمر واما ان يتم خرابه واني ابذل جهد المستطاع في عمرانه فان دفعتني الصوادف الى الياس من اصلاحه فاني لا أياس من الاصلاح الاسلامي بل اترك الحكومة واختار افراد من المستعدين فأربيهم على طريقه التصوف التي ربيت عليها ليكونوا خلفا لي في خدمه الاسلام ثم أولف كتابا في بيان حقيقه الازهر أمثل فيه اخلاق اهله وعقولهم ومبلغ علومهم وتأثيرهم في الوجود وانشره باللغة لغة افرنجيه حتى يعرف المسلمون وغيرهم حقيقه هذا المكان التي يجهلها الناس حتى من اهله[٣٨].

ويمكن تلخيص رسالة الازهر كما تراءت حينئذ للأستاذ الامام في الامور التالية:

ان يكون جامع بالمعنى الصحيح يتلقى فيها الطلاب الثقافة الصحيحة التي تعدهم لان يكونوا رجالا عاملين فيكون لمصر وللإسلام قضاه ذوو نزاهة واساتذة باحثون وعلماء متخصصون ومرشدون مخلصون يعملون على بث الآراء الدينية السليمة والمعاني الأخلاقية الرفيعة ومكافحه الخرافات والقضاة على البدع والاباطيل[٣٩].

كان الاستاذ الامام احب ان يجري الاصلاح في الازهر بأقناع كبار مشايخه ورضا اهله فبدا باستمالتهم بتكثير رواتبهم فسعى لدى المستشار المالي الاسبق لتعين مبلغ من خزينه المالية لمساعده الازهر الذي يخرج للحكومة كذا رجالا من القضاة الشرعيين والمفتين والمأذونين فأجيب الطلب وعين في ميزانيه مبلغ ألفي جنيه للأزهر.

ثم سعى (محمد عبده) الى تحديد مده الدراسة في الازهر: فقد جرى العرف منذ زمان طويل ان ينفق المجاورون من اعمارهم الاعوام الطوال في الازهر دون ان يجدوا من اولى الامر اي رقابه على اعمالهم، وحدد القانون بدء السنه الدراسية ونهايتها كما حددت ايام العطلة والمسامحات، وقد كانت الحال قبل ذلك بلا ضابط :فكان المشايخ والطلاب يمكنهم التغيب متى شاءوا فضلا عن تغيبهم ايام المسامحات الرسمية[٤٠].

ثم اطال (محمد عبده) التفكير في نظام التدريس ولكي يتسنى له الحصول على موافقه اغلبية المدرسين على التعديلات التي يرى ادخالها على المنهج قام تشكيل لجنه من نحو ثلاثين من افاضل العلماء وعهد اليها فحص العلوم التي تدرس بالفعل والاشارة بما ترى اضافته اليها على ان ترفع اقتراحاتها الى مجلس الادارة فبينت اللجنة علوم المقاصد وعلوم الوسائل.(٢) واضافت الى علوم الوسائل، الحساب والجبر وتاريخ الاسلام والانشاء ومتن اللغة وآدابها ومبادى الهندسة وتقويم البلدان، وألزم طالب الامتحان للحصول على شهادة العالمية بأدائه في علوم المقاصد وبعض علوم الوسائل والحساب والجبر[٤١].

وكذلك اقترح الامام (محمد عبده) اصلاح لا يقل عن سابقية اهمية او اثر يقضي بإلغاء دراسة بعض الكتب العقيمة كالشروح والحواشي والتقارير التي اعتاد المشايخ تلقينها الطلبة من غير فهم وكان من شانها ان تشوش عليهم موضوعات العلوم التي يدرسونها واستعاض عن ذلك كله بكتب انفع واقرب الى مدارك الطلاب[٤٢].

وامام هذه المؤسسة التي نشأ فيها الاستاذ الامام وتعلم وقف الرجل كثيرا وتأمل في سبيل اصلاحها طويلا وعلق على هذا الاصلاح اغلب اماله في الاصلاح ،فمذهبه في التجديد الديني يرى ان لا سبيل لنهضه الامه اذا لم تؤسس نهضتها على الدين ولذلك فلا سبيل لهذه النهضة الاصطلاح معاهد الدين اي (الازهر الشريف) وحتى عندما كان الياس يتطرق اليه من امكانيه الاصلاح للأزهر فان اماله كانت تتعلق (بدار العلوم) – التي تجمع بين علوم الدين وعلوم العصر بل لقد راها سبيلا مأمونا لوحده (الشخصية التعليمية) للأمه بدلا من

الانفصام والانفصال الى (تعليم مدني) لأصله له بالدين و(تعليم ديني) لأصله له بالمدنية.(١) فكتب (محمد عبده): قائلا ((ان دار العلوم تصلح ان تكون ينبوعا للتهذيب النفسي والفكري و الديني والخلقي ويمكن ان ينهض أمرها الى ان تحل محل الازهر وعند ذلك يتم توحيد التربية في مصر....))[٤٣].

ان تلك الاصلاحات المتواضعة لم يستطيع الشيخ عبده ان ينفذها جميعها لمقاومه الشيوخ اياها اما عن سوء قصد او سوء فهم فضلا عن وقوف الخديوي نفسه حجر عثره في وجه المشروع انتقاما من الشيخ محمد عبده، ولكن ما نفذ من الاصلاحات المفترضة لم يخل من ان يحمل ثمرا طيبا فقد شوهدت في طلبه الازهر اذ ذاك حماسه جديده ودبت فيهم روح فتيه وشاعت عندهم رغبه في التوسع والتحصيل واستيعاب التعليمي، وربما كان من الميسور اطراد ذلك التقدم لولا قيام صعوبات جديده لم تكن في الحسبان[٤٤].

الخاتمة

يتضح مما تقدم ان فكر (محمد عبده) يمثل القنطرة التي تصل بين حقبتين في فكرنا الحديث فالرجل بما اخرجه من جعبته من افكار سهل على العقل المصري ان ينفتح على العصر الحديث ويتمكن من تحدي نظام الاعتقاد والافكار والقيم في عهود التخلف والجمود.

لقد قبل عبده منطق التطور واعترف بتخلف المسلمين المادي والفكري وقال لابد من قيام ثورة فكرية قوامها العقل. لقد مثل (محمد عبده) شكل الاستجابة المتكاملة والناضجة الرئيسية لمجتمعنا العربي في مواجهه الحضارة الغربية وكان دوره ان يترك الباب مفتوحا لاستجابات اخرى تتلاءم مع الواقع الجديد والمتغير للمجتمع سعيا نحو مزيد من التطور الاجتماعي والسياسي والفكري والمادي. وبهذا يصح لنا ان نقول ان شخصية الرجل وآراءه جديرة ان تهدى الى الناس ليتأملوها وليهتدوا بهديها في هذا الزمان ومن ذا الذي هو أولى بان يقدم الى الشبيبة الناهضة المتطلعة الى الكمال، من رجل عبر أجمل تعبير عن يقظة الوعي القومي وسما في الوقت نفسه الى اعلى مراتب الانسانية، رجل لم يدخر جهدا في أداء الرسالة الانسانية الصحيحة فدعا الى تحرير العقول من سيطرة الخرافات واطلاق النفوس من أسر الشهوات وشرع في بناء جيل جديد يدرك قيمة العلم في خوض معركة الحياة ويفهم وظيفة الدين في العمل على اسعاد المجتمع. فلقد كان الاستاذ الامام (محمد عبده) مشروعا نهضويا لتجديد دين الاسلام كي تتجدد به دنيا المسلمين.

الهوامش

(١) محمد عماره، الاسلام والمرأة في رأى الامام محمد عبده، دار الرشاد، القاهرة، ط٥،١٩٩٧، ص١٤٥.

(٢) البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، كريم عزقول، دار النهار، بيروت، ب. ط،١٩٣٩، ص١٦٢.

(٣) محمد عماره، المنهج الاصلاحي للأمام محمد عبده، مكتبة الاسكندرية، مصر، ب. ط، ٢٠٠٥، ص١٣.

(٤) محمد عماره، الاعمال الكاملة للأمام الشيخ محمد عبده ج١، دار الشروق، بيروت، ط١ ١٩٩٣، ص٣٦.

(٥) محمد عماره، الاسلام والمرأة في رأى الامام محمد عبده، مصدر سابق، ص١٤٨.

(٦) اسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، المكتب الاسلامي، بيروت، ط١،١٩٨٠، ص٢١٣.

(٧) محمد عماره، الامام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨، ص.

(٨) محمد عماره، الاعمال الكاملة للأمام الشيخ محمد عبده ج١، مصدر سابق، ص٢٥.

(٩) محمد عماره، المنهج الاصلاحي للأمام محمد عبده، مصدر سابق، ص١٨٢.

(١٠) محمد عماره، الامام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين، مصدر سابق، ص٣٢.

(١١) محمد عماره، المنهج الاصلاحي للأمام محمد عبده، مصدر سابق، ص٢٠.

(١٢) محمد عماره، الاسلام والمرأة في رأى الامام محمد عبده، مصدر سابق، ص١٥٤– ص١٥٥.

(١٣) محمد عماره، المنهج الاصلاحي للأمام محمد عبده، مصدر سابق، ص٢٥.

(١٤) محمد عماره، الاعمال الكاملة للأمام الشيخ محمد عبده ج١، مصدر سابق، ص٣٦.

(١٥) محمد عماره، الاعمال الكاملة للأمام الشيخ محمد عبده ج١، مصدر سابق، ص١٠٣.

(١٦) عبد الرحمن محمد بدوى، الامام محمد عبده والقضايا الاسلامية، الهيئة المصرية، مصر، ب. ط،٢٠٠٥، ص٩٣.

(١٧) محمد عماره، الاسلام واصول الحكم لعلي عبد الرزاق دراسة ووثائق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ب. ط،٢٠٠٠، ص٣٢.

(١٨) محمد عماره، الاسلام والمرأة في رأى الامام محمد عبده، مصدر سابق، ص١٧٢–١٧٣.

(١٩) محمد عماره، الاعمال الكاملة للأمام الشيخ محمد عبده ج١، مصدر سابق، ص١٠٦.

(٢٠) عبد الرحمن محمد بدوى، مصدر سابق، ص٩٤.

(٢١) محمد عماره، الاعمال الكاملة للأمام الشيخ محمد عبده ج٣، مصدر سابق، ص٣٠٧.

(٢٢) محمد عماره، الاسلام واصول الحكم لعلي عبد الرزاق دراسة ووثائق، مصدر سابق، ص٣٢.

(٢٣) محمد عماره ، الاعمال الكاملة للأمام الشيخ محمد عبده ج١، مصدر سابق، ص١٠٨.

(٢٤) محمد عماره، الامام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين، مصدر سابق، ص٩٧.

(٢٥) الامام الشيخ محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدينة، دار الحداثة، ط٣، ١٩٨٨ ص٨٢.

(٢٦) محمد عماره، المنهج الاصلاحي للأمام محمد عبده، مصدر سابق، ص١٢٤– ص١٢٥.

(٢٧) مرتضى شنشول ساهي العقابي، مصدر سابق، ص٧٨.

(٢٨) مرتضى شنشول ساهي العقابي، مصدر سابق، ص٧٨.

(٢٩) محمد عماره، الاعمال الكاملة للأمام الشيخ محمد عبده ج١، مصدر سابق، ص٣٨٥.

(٣٠) مرتضى شنشول ساهي العقابي، مصدر سابق، ص٥٤.

(٣١) سلمان علي حسن الجميلي، مصدر سابق، ص٨٠.

(٣٢) محمد عبده، نقلا عن عبد الرحمن محمد بدوى، مصدر سابق، ص٢٠٢.

(٣٣) سلمان علي حسن الجميلي، مصدر سابق، ص٨١.

(٣٤) محمد عماره، الاعمال الكاملة للأمام الشيخ محمد عبده ج١، مصدر سابق، ص٣٨٢.

(٣٥) سلمان علي حسن الجميلي، مصدر سابق، ص٨٣.

(٣٦) محمد عبد المنعم خفاجي، الازهر في الف عام ج٢، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٩٨٨، ص١٩.

(٣٧) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ج١، دار الفضيلة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦، ص٤٢٥.

(٣٨) محمد عماره، الاعمال الكاملة للأمام الشيخ محمد عبده ج٣، مصدر سابق، ص١٩٣.

(٣٩) محمد رشيد رضا، مصدر سابق، ص٤٢٦.

(٤٠) عثمان امين، المصدر سابق، ص١٩٠.

(٤١) تشارلز ادمس، الاسلام والتجديد في مصر، ترجمه عباس محمود العقاد، تقديم مصطفى عبد الرزاق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠١٥، ص٧٠ ص٧١.

(٤٢) مصدر نفسه، ص٧٢.

(٤٣) عثمان امين، مصدر سابق، ص١٩١.

(٤٤) محمد عماره، الاعمال الكاملة للأمام الشيخ محمد عبده ج٣، مصدر سابق، ص١٣٢.

المصادر

١. اسماعيل الكيلاني، فصل الدين عن الدولة، المكتب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٠.

٢. الامام الشيخ محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدينة، دار الحداثة، ط٣ ١٩٨٨.

٣. البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، كريم عزقول، دار النهار، بيروت، ب. ط،١٩٣٩.

٤. تشارلز ادمس، الاسلام والتجديد في مصر، ترجمة عباس محمود العقاد، تقديم مصطفى عبد الرزاق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠١٥.

٥. عبد الرحمن محمد بدوى، الامام محمد عبده والقضايا الاسلامية، الهيئة المصرية، مصر، ب. ط، ٢٠٠٥.

٦. محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده ج١، دار الفضيلة، القاهرة، ط٢،٢٠٠٦.

٧. محمد عبد المنعم خفاجي، الازهر في الف عام ج٢، عالم الكتب، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٨.

٨. محمد عماره، الاسلام والمرأة في رأى الامام محمد عبده، دار الرشاد، القاهرة، ط٥ ،١٩٩٧.

٩. محمد عماره، الاسلام واصول الحكم لعلي عبد الرزاق دراسة ووثائق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ب. ط،٢٠٠٠.

١٠. محمد عماره، الاعمال الكاملة للأمام الشيخ محمد عبده ج١، دار الشروق، بيروت، ط١ ١٩٩٣.

١١. محمد عماره، الامام محمد عبده مجدد الدنيا بتجديد الدين، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨.

١٢. محمد عماره، المنهج الاصلاحي للأمام محمد عبده، مكتبة الاسكندرية، مصر، ب. ط،٢٠٠٥.